FAO
1945-85

محاضرة ماكدوغال التذكارية

الرابعة عشرة

فخامة الرئيس

آلان غارثيا بيريز

رئيس جمهورية بيرو

روما

١٤ / ١١ / ١٩٨٥

منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة

السيد الرئيس
السيد المدير العام
معالى الوزراء والمندوبون الموقرون

انه شرف لبلادى أن يدعوها مجلس منظمة الأغذية والزراعة ومديرها الموقّر، ادوار صوما ، لالقاء محاضرة ماكدوغال التذكارية بمناسبة العيد الأربعينى للمنظمة

لقد ألقى هذه المحاضرة ، من فوق هذا المنبر ، عدد كبير من الشخصيات البارزة أمثال أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند ، وبروفوكريسكى رئيس وزراء النمسا ، وكينيث كاواندا رئيس جمهورية زامبيا، وبصرف النظر عن اختلاف وجهات نظرهم ، كانت الروح التى عبروا عنها واحدة وهى : تصميم البشرية ورغبتها فى التغلب على ما يواجهها من صعاب وتصحيح ما ارتكبته من أخطاء .

وان عالمنا ، المنكوب بالمجاعات والديون وخطر الحرب النووية ، لملئ بالمفارقات والمتناقضات . ففى طرف توجد البلدان الصناعية حيث يبلغ متوسط دخل الفرد عشرة آلاف دولار سنويا ويزيد استهلاك الفرد على ٣٤٠٠ سعرة حرارية فى اليوم . وفى الطرف الآخر يوجد ما يقرب من ٢٥٠٠ مليون نسمة من سكان العالم النامى لا تكاد تصل دخولهم الى ٣٠٠ دولار فى السنة .

ويربط هذين الطرفين المتناقضين نظام واحد ، نظام اقتصادى لم تبذل جهود كثيرة لعلاجه على الرغم من الادانة المتكررة لما ينطوى عليه من ظلم وجور . ففى ظل هذا النظام يتزايد الظلم الصارخ فى تبادل المواد الخام بالتكنولوجيا حيث أن شراء جرار واحد يتطلب أطنانا متزايدة من مسحوق السمك أو من السكر .

أما الديون الخارجية فهى وسيلة واضحة لانتزاع الموارد وتحويلها .ففى هذا العام بلغت هذه الديون ٩٧٠٠٠٠ مليون دولار وخصصت بلدان كثيرة ما يربو على ٥٠ فى المائة من حصيلة صادراتها فى عام ١٩٨٤ لخدمة هذه الديون . ومن خلال أسلحة الفتك المتطورة التى يشيع ببعها الفرقة فى صفوف البلدان الفقيرة بفعل ما يحاك من مؤامرات،فاننا نحول آلاف الملايين من الدولارات الى البلدان الغنية .

لقد سبق أن تكرر هذا القول مرارا ، بيد أن ما أريد ابرازه الآن هو التناقض الصارخ بين المؤسسات فى هذا النظام السائد فى العلاقات الدولية ، فمن ناحية توجد منظمة الأغذية والزراعة التى تحارب الجوع وتوفر التكنولوجيات المتطورة لأشد البلدان فقرا ، ومن الناحية الأخرى يوجد صندوق النقد الدولى الذى أخذ يغالى فى شروطه وسياساته فأدى الى تفاقم مشكلات بلادنا وتمخض ذلك عن نتائج خطيرة

وصندوق النقد الدولى مؤسسة لا تتمتع فيها الدول بالمساواة المطلقة ، كما هو الحال هنا ، بل انها تقيّم على أساس حجم مساهماتها وقوة عملاتها . وما حدث فى بلادى هو أن الشروط التى فرضها صندوق النقد الدولى أدت الى تطبيق سياسات اقتصادية خاطئة حدّت من الطلب وخفضت الائتمان والانفاق العام وأدت الى هبوط الانتاج وفرص العمل ونقص الدخول وتدهور التغذية مما أضرّ بالفقراء أكثر من غيرهم .

واننى هنا الآن لأننا قررنا اتباع نهج مغاير ، فقد تخلينا عن "وصفات" صندوق النقد الدولى ، وشرعنا نتبع باصرار الطريق الذى رسمته لنا المنظمة وهو : انقاذ عالم الريف باعتباره مصدرا للرفاهية والتغذية . وبدأنا اليوم نخطط لتوسيع نطاق الانتاج وزيادة الاستهلاك وتيسير الحصول على القروض وتشجيع الانفاق العام المنتج .

وقد اخترنا من بين البدبلين ، صندوق النقد الدولى والمنظمة ، البديل الأخير . ومن واجب حكوماتنا ألا تسدد الديون الخارجية أو تقبل الشروط التى تحدّ من تطورنا ، فواجب حكومتنا هو واجب مسيحى وانسانى يتمثل فى محاربة الجوع والدفاع عن العدل حيث أنه يمكن التضحية بكل شيء ماعدا الحق الثابت فى الحياة .

هذا هو السبب الذى حملنا على تشكيل حكومة وطنية وديمقراطية – وطنية فيما يتعلق بالديون الخارجية حتى تحمى سوقنا المحلية وتستعيد ازدهارها ، كما أنها ديمقراطية بغية القضاء على مظاهر عدم المساواة وبناء نموذج اقتصادى يهدف أساسا الى توفير الغذاء للشعب فى الوقت الحاضر وفى المستقبل على السواء .

ويتمثل هدفنا الأهم فى الوقت الحاضر فى تحقيق التضامن والعدالة فى ظل نظام اقتصادى جديد ، فضلا عن تحقيق أهداف موءتمر الأغذية العالمى الذى قرر منذ عقد مضى القضاء على سوء التغذية . الاّ أن هذا الهدف سوف نبلغه لا بطلب الاحسان أو التماس الصدقات بل بالمطالبة بنظام أكثر عدلا يقرّ بقيمة عمل الدول الفقيرة وسيادتها المتكافئة . فالعالم بحاجة الى أساس جديد للتجارة وتوزيع الثروة ، كما أنه بحاجة الى نظام نقدى جديد لا يكون فيه الدولار العملة العالمية الوحيدة ، التى تحيلنا جميعا الى أدوات فى أيدى بلد واحد .

وبعتبر الجوع مشكلة عالمية يتعين محاربتها بتعزيز أهداف اتفاقية المعونة الغذائية والاحتياطى الدولى من أغذية الطوارئ والصندوق الدولى للتنمية الزراعية . ولهذا نؤيد المبادرة التى اتخذها السيد ادوار صوما ، المدير العام والمناضل العظيم ضد الجوع ، ونتعهد بالمشاركة فى الميثاق العالمى للأمن الغذائى الذى سوف يناقشه هذا المؤتمر .

بد أن فقراء العالم لا يستطيعون الانتظار ، كما لا يمكن أن تنتظر البلدان الأفريقية التى هى موضع اهتمامنا البالغ اليوم ، أو بلدان العالم الثالث الأخرى حيث تشتد الحاجة وينتشر سوء التغذية .

ويحظى هذا الكفاح بتأييد شعوب الأرض قاطبة . الا أننا نحتاج فى الوقت ذاته الى تعزيز الديمقراطية فى كل مكان باعتبارها سلاحا ضد الجوع والظلم . فهذا هو واجبنا الأول .

ويتعين أن تكون الديمقراطية تعبيرا عن الشعوب ، الا أنها فى البلدان الفقيرة تؤدى دور الضمير التاريخى الأصيل ، فليست بلادنا ضحية الظلم والدبون والعنف فحسب ، بل هى أيضا ضحية الهيمنة السياسية التى حرمت شعبنا من الاحساس بالهوية الجغرافية ، بمعنى أن وعيهم بحقيقتهم يتسم بالغموض والانعزال . وقد تمخضت عن هذه الصورة الزائفة

نماذج تكنولوجية وأخرى لاستهلاك الأغذية لا علاقة لها بالهوية الجغرافية أو بالتاريخ الاجتماعى .

هذا ، يا سيادة الرئيس ، هو الموضوع الرئيسي الذى يتعين أن أطرحه فى هذه المحاضرة . فلقد قيل الكثير فى هذا المحفل عن الجوع والمجاعة ومعاناة البشر ، ونعترف بأن هذه قضايا خطيرة ، بيد أنى أود فى هذا المقام أن أتحدث عن الأغذية بمفهوم مغاير واضعا اياها فى اطارها الحضارى والتاريخى . وأود أن أوضح كيف يتسنى فهم الديمقراطية من خلال الأغذية ، وكيف يمكن بناء الديمقراطية بحيث تكون الأغذية أحد أهدافها ، لا مجرد استجابة لمجاعة بل كجزء واع من التحرر الوطنى .

هذا ، يا سيادة الرئيس ، ما نضطلع به من أجل استعادة الوعى الحقيقى بجغرافية بلادنا .

وعلى مرّ القرون ، نسبت بيرو ، التى كانت ذات يوم مركزا لامبراطورية تأسست على الزراعة ، أرضها الحبلية وارتفاعها عن سطح البحر وسلاسل جبالها ومحاصيلها المحلية ، وأخذت تستهلك الأغذية الأجنبية التى تزرع فى السهول التى لا وجود لها فى بلادى ، ومن ثم شوهت روءيتها لذاتها . ورأينا كيف ازدادت هذه الحالة سوءا خلال العقود الماضية . اذ أن معرفة كل بلد بجغرافيته يمكّنه من السيطرة عليها تكنولوجيا كما يزيد من قدرته على استغلال واقعها الجغرافى . لقد فصل

الغزو الأوروبى شعب بيرو عن واقعه الجغرافى وراح يوجهه الى استهلاك الأغذية والموارد الأجنبية وبعده عن أوضاعه الحقيقية .

لقد انخفض الانتاج الزراعى فى بلادى عبر العقود القليلة الماضية فنقصت غلة الهكتار فى حين زادت الواردات الزراعية زيادة كبيرة ، وأدى الاستهلاك الهائل من منتجات الأغذية الأجنبية الى نسيان الجوانب الفنية للبلاد وتنظيمها الاجتماعى . وكان من نتيجة ذلك أن فقد الشعب ايمانه بقدرته على التحكم فى بيئته الجغرافية . فليست الواردات الغذائية مجرد مشكلة نقد أجنبى ، لكنها تؤدى فى الوقت ذاته الى أن يفقد البلد اتصاله بواقعه التاريخى والجغرافى . فاستهلاك الجماهير من القمح الذى يجئ من منطقة جغرافية أخرى ومن نظام ايكولوجى آخر ولا يزرع فى بيرو ، قد وضع حدا لصلاحية الأنديز وللجبال والوسائل الفنية للسيطرة عليها واللغة القديمة والهيكل المفاهيمى والعلاقات الأسرية وأى نوع آخر من الوعى السياسى أو الدينى . وباتت بيرو تتقبل الندرة والفقر باعتبارهما حقيقة حتمية من حقائق الحياة ، وأصبح الفلاحون غرباء عن تاريخهم دون أن يبرحوا أرضهم .

ومنذ نحو ٥٠٠ عام خلت ، كانت حضارة " ألانكا" الزراعية توفر غذاء كافيالعدد من السكان يعادل عدد السكان الحاليين أو يزيد . ذلك لأن هذه الحضارة استطاعت التكيّف مع جغرافية بيرو وسخرتها تقنياً . ومنذ ٥٠٠ عام ، وكما هى الحال اليوم ، واجهت حضارة الانديز مجموعة متنوعة من

الظروف الايكولوجية بسود نظرها فى أكثر من نصف الكـــــرة الأرضية فطبيعة الأرض فى بيرو تشبه الى حد بعيد جغرافيـــــة نيبال واثيوبيا والهند والصين ، لكنها تختلف تمامـــــا عن استراليا والولايات المتحدة والارجنتين • وقد استطاعت حضارة الانكا القديمة أن تسطر على التعقيد الشديد الذى تميزت به المستويات الايكولوجية والظروف المناخية من خلال الأعمـــال الفنية ، التى هدفت الى التبسيط • فالأراضى الوعـــــرة والمناطق الجبلية التى تسود معظم المناطق ، جعلتهم يلجأون الى زراعة محاصيلهم فى المصاطب المنتشرة على المنحدرات •

وفى حين اعتمدت الحضارات الأخرى فى السهول والهضـــاب على استخدام المحراث ، نظرا لطبيعة أراضيها المسطحـــة ، اعتمد بيرو على مختلف الأساليب الفنية ، مثل اقامة المصاطب المعروفة باسم "اندينيز" وعلى التنظيم البشرى أيضـا اذ أن التعقيد الذى تتسم به الظروف المناخية والايكولوجية جعـــل العمل الجماعى ضرورة لابد منها • وهكذا ارتبط المجتمـــع بالأرض ونشأ شعور بالأمن والاستقرار السياسى المتواصل • لكن الغزو الأوروبى فى القرن السادس عشر قضى على هذا الالتحـام بين الشعب والأرض • فقد جاء الغزاة من بلدان تختلف فـــى طبيعتها الجغرافية ومعظمهم من سكان السهول والهضاب ، فلـم يفهموا جغرافية بيرو المختلفة ففرضوا تصورات لاتتناسـب مع طبيعة البلاد التى احتلوها وادركوا على نحو مغاير البعـــد التاريخى لمفهومى الزمان والمكان • ونقل الغزاة محـــور النشاط وكذلك عاصمة البلاد كوزكو الى مناطق قريبـــة من الشواطئ ، وبذلك انفصمت العلاقة بين الشعب والنشاط الزراعى

بتوجيه الجهود نحو استغلال المناجم . فلم تعد بيرو بلدا "زراعيا"، بل اصبحت مجرد منجم تابع لأوروبا التجارية . وفرضت الجماعات الأوروبية الغازية نفسها على المجتمع المهزوم حتى باتت الزراعة التى كانت عماد المجتمع القديم نشاطا يقتصر على فئات المغلوبين على أمرهم . وهكذا تحولت بلاد الانديز من ذلك المركز الاقتصادى والتاريخى المعروف الى مجرد وطن يعيش فيه شعب خسر المعركة أمام جحافل الغزاة .

ولقد أوضحت مرارا أن الأسباب الرئيسية التى جعلت الفلاحين يهجرون أراضيهم فى الانديز وينزحون الى المدن ، تكمن فى رغبة هؤلاء فى الهروب من زمن عاشوا خلاله قرون عديدة كشعب محتل . وبسبب الغزو هذا تشوهت الصورة الحقيقية عن بيرو، فقد تعامل الغزاة مع البلاد على أنها أراض منخفضة وهضاب فى حين هى فى الواقع بلاد جبلية مهيأة لزراعة محاصيل البطاطس والذرة على المصاطب وهما سلعتان تمثلان مساهمتنا فى التاريخ البشرى . وأصبحت بيرو تدريجيا بلدا مستهلكا للقمح وهو محصول يحتاج الى أراض شاسعة تفتقر اليها بلادى.

وشيئا فشيئا هجرت ملايين من الهكتارات من المصاطب ، وأهملت شبكة الطرق التى تربط المناطق الزراعية وانخفض عدد السكان وانهزم المجتمع أمام الطبيعة ، ولم تعد الأرض من مقومات الشعب ، بل أصبحت مجرد مأوى للمقهورين أو أداة للهيمنة الاجتماعية فى النظام الاقطاعى الذى ظهر عندئذ .

ولفترة تناهزت خمسة قرون انفصمت العلاقة بين سكان بيرو وبين الأرض . ومع أننا طبقنا قوانين الاصلاح الزراعى ، لكنها ظلت كما فى العديد من البلدان الأخرى مجرد اصلاحات قضائية اقتصرت فقط على سندات الملكية ، وبذلك كرست سيطرت المدينة على الريف وهى العملية التى بدأت مع الغزو ، وتعززت الاتجاه نحو استيراد الأغذية ، وواصل المجتمع انفصامه عن الأرض .

وكانت السيدة العظيمة انديرا غاندى قد اشارت من هذا المنبر بالذات الى ترتيلة هندية مأثورة تقول "تولد جميع المخلوقات التى تعيش على الأرض من الغذاء ، وتعيش عليه وعندما تموت تعود اليه ".

وبودى اعادة سبك هذا الكلام فأقول " تولد المجتمعات من الغذاء وتعيش عليه وتبنى ادراكها للوقت والمكان من خلال الأغذية التى تستهلكها والتى تمثل التعبير عن قدراتها الفنية للسيطرة على الطبيعة ".

ولهذه الأسباب ، سيدى الرئيس ، فان الديمقراطية التى نريدها فى بيرو ليست ديمقراطية المدن ولا هى ديمقراطية ادارية أو بيروقراطية . فبيرو تريد اعادة ارتباطها التاريخى مع الأرض من خلال اثبات قدرتها على انتاج الأغذية والسيطرة على الطبيعة .

منذ بداية هذا القرن سلكت بيرو الطريق الذى رسمها الغزاة . وسارت فى ركاب الاقتصاد الرأسمالى العالمى . فأخذت بيرو ، شأن سائر البلدان التابعة تصدّر الخامات الزراعية كالقطن والسكر ، لكن هذه السلع انتجتها زراعة جديدة انشئت على السواحل وهى مختلفة عن زراعة الانديز ، فما زالت اقتصاديات الانديز مهملة حتى الآن .

ومع الحرب العالمية الثانية ، باشرت بيرو عملية تصنيع وتوسع عمرانى ، زادت من عزلة الفلاحين وبصورة خاصة الموجودين فى منطقة الانديز . فقد تركزت عملية التصنيع فى بيرو منذ ١٩٤٥ فى المراكز الحضرية ، واعتمدت بالدرجة الأولى على تصنيع الأغذية وطحن القمح الأجنبى مما زاد استهلاك السكان من السلع المستوردة التى حلت محل الأغذية المنتجة محليا . وقد استطاعت عملية التصنيع التى بدأت منذ ثلاثة عقود ، تحويل بيرو الى بلد مستورد يقيم المطاحن الكبرى ويتخلى تدريجيا عن الأغذية التى ينتجها محليا .

فقد هبط فى الفترة من ١٩٧٠ الى ١٩٨٣ وحدها نصيب الفرد من الانتاج المحلى من الذرة من ٤٥ الى ٣١ كغم ومن البطاطس التى نشأت فى بيرو من ١٤٠ الى ٦٠ كغم . وفى الوقت ذاته ، زاد نصيب الفرد من واردات القمح والذرة من ٣٥ الى ٥٢ كغم ومن واحد الى ٢٤ كغم على التوالى .

لقد أدت عمليات التصنيع الى افقار المزارعين في منطقة الانديز أكثر من ذى قبل ، وزادت نسبة هجرتهم ، وبعثت فى نفوس المزارعين الوافدين على المدن الشعور بفقدان الأمن بالنسبة لتوافر الأغذية ولقدرتهم التكنولوجية • وبما أن الأرض مرتبطة بمدى وعى السكان بوجودهم ، فقد فقد النازحون كذلك احترامهم الذاتى • فقد حل محل سخاء الأرض عداء البيئة الحضرية ، كما حل الشعور بالفردية محل النظر الى المجتمع كوحدة اجتماعية متماسكة كرد فعل للظروف المناوئة •

ومنذ عام ١٩٧٠ ، أدت أزمة النفط وتوقف التوسع في الاقتصاد العالمى الى تطبيق سياسات الحماية فى البلدان الغنية • وحلت البنوك محل الشركات متعددة الجنسيات كوسيلة لسحب الفوائض • وفى بلادى ، تأثرت الصناعة سلبيا بانفتاح الأسواق ، حيث تموّل الواردات بزيادة تراكم الديون ، وفى السنوات الأخيرة زادت ظاهرة الفقر سوءا وأصبح السكان يعيشون على هامش الحياة •

وقد كان بيرو، بلدا مصدرا ، ثم بلدا سائرا فى نشاط التصنيع فى المناطق الحضرية ، وأصبح أخيرا بلدا مدينا ، محتفظا طوال الوقت بمظاهر الارتباط مع العالم الرأسمالى التى تتمثل فى الاهتمام بالمناطق الحضرية ، واتباع نفس النظم الادارية ، والاستيراد ، واستمرار انكماش القطاع الزراعى •

وهكذا توجد تناقضات عميقة فى هياكل بلادى : المركزية المفرطة فى المدن ، وخصوصا فى العاصمة ، وتركيز الدخول بدرجة عالية جدا ، والاختلال الشديد بين الصناعة والجهاز الادارى من جهة والقطاع الزراعى الذى يزداد كساده من جهة أخرى • وقد أدى هذا الى حلقة مفرغة : فقد أخذ الانتاج الزراعى ينكمش تدريجيا بسبب استيراد المواد الغذائية ، وترتب على ذلك ازدياد فقر المزارعين باطراد ، كما تسرب الضعف الى القطاع الصناعى تدريجيا بسبب افتقاره الى الأسواق لبيع منتجاته •

وفى هذه الظروف ، تقتضى الحاجة اجراء عملية تحول تاريخية من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية وتأكيد امكانيات التنمية الاقتصادية المتوازنة • ولا يمكن أن تتمثل هذه العمليات فى اعادة احياء الحلقة المفرغة التى ورثناها : فاذا قصرنا جهودنا على احياء الهياكل الحضرية والصناعية ، سنظل مضطرين للاعتماد على استيراد السلع • لكننا نرغب فى تحقيق تحول أعمق من ذلك بكثير ، يستوحى من النموذج المحلى لانتاج الأغذية ، فبهذه الطريقة وحدها يمكن احداث ثورة على جميع الجبهات تتمثل فى الاستقلال الوطنى وتحقيق العدالة والتحرر الاجتماعى •

ويجب أن يكون الهدف الأول للثورة الوطنية هو احياء الوعى التاريخى ، والكشف عن الحقائق المنسية من جديد ، واسترجاع الأبعاد الزراعية من حيث المكان والزمان :

وبعبارة أخرى ، ادراك أهمية التنوع الايكولوجى ، وقبول العمل بنظام زراعة المصاطب ، والاعتراف بقيمة المنتجات المحلية وتنظيم المجتمعات المحلية ، والنظر من جديد الى منطقة الأنديز ، التى تعتبر المحور التاريخى لبيرو ، كمنطقة صالحة لحياة البشر .

هذا هو الجوهر الذى نريد أن نؤكده ، والذى أكده التاريخ على مر الزمن : الرجوع الى الأرض باعتبارها قوام المجتمع وركنه الأساسى ، واعادة الشعور بالأمن، والقضاء على نزعة الهروب من الحقيقة ، وكلها ظواهر يتسم بها عدد من القطاعات فى الوقت الحاضر .

ولكى يصبح هذا التحول حقيقة واقعة ، يجب أن نؤكد حقنا فى الوجود المستقل ، وحقنا فى العمل وفى الدفاع عن صناعاتنا ضد حرية انفتاح الأسواق ، وحقنا فى تخطيط الاقتصاد وتوجيه الموارد نحو نموذج تاريخى يرتبط بقطاعات الأغذية والزراعة ومصايد الأسماك .

ولهذا السبب قررنا أن نقلل الى حد بعيد الموارد التى كانت تخصص من قبل لتسديد الديون الخارجية ، وخصوصا للبنوك التجارية . فنحن نرى أن هذه الديون ديون غير عادلة نشأت عن تبادل تجارى لاينطوى على المساواة أوالعدالة ، وتزيد فى تضخمها أسعار الفائدة المجحفة ، وتؤدى الى تفاقمها سياسات الحماية التى تخفض أسعار سلعنا وتعرقل سبيل التجارة أمامنا .

وقد أثبت التاريخ أن محاولة الابقاء على العلاقات المالية من خلال سلسلة جديدة من القروض لا يزيد الوضع الا سوء ا٠

واننا لنأسف لأن البلدان القوية اقتصاديا لاتبدى تفهما لمدى الحاجة الى ايجاد حل سياسى لهذه المشكلة ٠

ونأسف كذلك لأن المحادثات والاجتماعات المتعددة لم تؤد بعد بالبلدان الدائنة الى الاتفاق على العمل الملائم ٠ اننا نؤمن بالتضامن والعمل المشترك ، لا بالكسل والجمود ٠ ونحن نؤمن كذلك بالقرارات الوطنية ، ولذلك نرفض فكرة مواصلة الاقتراض لتسديد القروض السابقة ٠ ونؤكد قرارنا بأننا سنخصص ١٠ فى المائة من حصيلة صادراتنا ، أى دولارا واحدا من كل ١٠ دولارات من هذه الحصيلة لخدمة الديون ٠ ففى هذه الفترة الحرجة ، حيث تنتظر ملايين السكان فى افريقيا ، وآسيا وأمريكا اللاتينية ، دون جدوى للحصول على الأغذية ، وحيث يهدد الفقر وأعمال العنف مجتمعاتنا ، بوسع البنوك فى هذه الظروف العسيرة أن تنتظر : أما الفقراء فقد انتظروا بما فيه الكفاية لكى يسود الحق وتسود العدالة ٠

ويعنى قرار بيرو أن تسديد الفوائد والديون سيتباين ، ولكن فى اطار حد أقصى يتم اقراره ٠ وهذا جواب بلد فقير ، وقرار لارجوع فيه ٠

ان المقترحات التى قدمت أثناء الاجتماع الأخير لصندوق النقد الدولى فى سيول ، بغرض انشاء أساليب اقراض جديدة من طريق أجهزة تمويل أخرى ، انما تهدف الى تجنب وقوع الصندوق فى أزمة مالية ، والمحافظة على النظام النقدى كنظرية رسمية ، وتأكيد لهيمنة مؤسسة تؤدى نظرياتها وشروطها الى تفاقم المشكلات التى تعانى منها بلداننا .

وتمسكا بهذه المواقف ، تعتبر بنوك أمريكا الشمالية أن قبعة ديون بيرو قد تدهورت ، وأصبحت تتحفظ فى منح القروض والأموال متعللة بشتى القيود والتعديلات . لكن هذه العقوبات لن تجعلنا نعود الى الوراء . فنحن ندرك أن هذا هو الثمن الذى يجب أن ندفعه من أجل أن نسترد سيادتنا ، وهو ثمن غذاء شعبنا .

ولكى نؤكد حقنا فى وضع برنامج للتحول الاقتصادى بعيدا عن التدخل الأجنبى ، رفضنا وساطة صندوق النقد الدولى الذى تعد خطابات الاعلان عن النوايا الصادرة عنه خطابات تدعونا الى التنازل عن سيادتنا وتأمرنا بفتح حدودنا وخفض قيمة عملتنا ورفع أسعار الفائدة والتقليل من مشاركة الدولة فى النفقات الاجتماعية . ولكننا اخترنا طريقا مختلفا عن ذلك تماما ، فقد اخترنا نموذجا يؤكد سيادتنا ينطوى على التقليل كثيرا من أسعار الفائدة الداخلية ، واستقرار أسعار الصرف الأجنبى ، وتنظيم الرقابة على الأسعار وتقليل هامش أرباح الاحتكارات . وكدليل على مايمكن لشعبنا أن يحققه فى غيبة وصاية صندوق النقد الدولى ، استطعنا أن

نخفض التضخم خلال شهرين فقط من ١١ فى المائة الى ٣ فى المائة شهريا .

أما الآن وقد انخفضت مدفوعات تسديد الديون الخارجية وقلت مشتريات الأسلحة والواردات غير الضرورية ، وزادت مشاركة الدولة فى استغلال الموارد الطبيعية مثل النفط ، أصبح فى مقدور الحكومة أن توجه المزيد من الموارد الى الخدمات الاجتماعية والى الانتعاش الاقتصادى لاسيما الانتاج الزراعى .

اننا لن نضحى بالتنمية التى تحققت فى بيرو على مر الأجيال ولن نضحى بقوت الشعب بسبب شراهة البنك الدولى أو مقترحاته .

ان أسعار سلعنا الزراعية كأسعار اللحم واللبن والقطن والسكر والنحاس والفضة ومسحوق الأسماك تنخفض يوميا نتيجة للسياسات الحمائية التى تطبقها البلدان الأكثر ثراء ، والتى تدعم انتاجها المحلى لكى تسيطر على اقتصاديات التصدير فى العالم . فهذه الدول تقلل من أسعار خاماتنا ثم تطالبنا بأن نسدد للبنك دون أدنى تأخير . فمن أين لنا تلك الأموال التى سندفع منها الى البنك ؟ ولماذا ينبغى علينا أن ندفع ؟ اننا نقول ان الدفاع عن ثروتنا الطبيعية له الأولوية على ماعداه . اننا لن ندفع على طريقة مسرحية "تاجر البندقية" التى كتبها شكسبير ، أى من لحم شعبنا ودمه ، ولكننا سوف ندافع عن فوائضنا وواردنا بل ونحتفظ بها داخل

بلدنا ولن نسمح لهيكل الاقتصاد العالمى الشرس أن يوجه مسار هذه الموارد الى خارج بلادنا ، وسوف نفعل ذلك لكى نؤكد الوعى التاريخى والجغرافى بكيان بيرو . وما الثورة الا اعادة اكتشاف تاريخنا نحن . لذلك فعندما يسألنا شعبنا ماذا ستفعلون بتلك الموارد التى نحتفظ بها الآن داخل بيرو، فاننا نرد بأن هذه الموارد سوف تستغل لبناء نموذج اقتصادى واجتماعى جديد يمكن ابجازه فى ديمقراطية الغذاء . ولهذا السبب فان من المهم على نحو خاص أن تحضر بيرو هذا الاحتفال بالعيد السنوى للمنظمة .

اننا نؤكد أولا أن الأرض هى الأساس القويم للوطنية فليس ثمة وطنية نظرية ، فالدولة ليست كما هى فى الفلسفة المثالية "الانا المفكرة " وانما الدولة هى القدرة التقنية على تسخير الطبيعة ، ولا سبيل الا من خلال الاعتراف بهذه الطبيعة وادراك أبعادها كى ننتج الغذاء الذى تمنحه الطبيعة نفسها ، ونكسر الحلقة المفرغة للواردات التى تزيد من فقر الفلاحين وتحكم على الصناعة فى المدن بالاعتماد على أسواق محدودة .

لذلك نؤمن بالتزام بلدنا والبلدان الأخرى فى الاعتماد على أراضيها فى الانتاج وفى دفع مجتمعاتها نحو العمل . وسيستغرق ذلك وقتا طويلا الا أننا سوف نعوض المنتجات الغذائية التى نستهلكها اليوم بالمنتجات التى يمكن أن تنتجها بلادنا .

ان بيرو التى يشتمل اسهامها فى التاريخ على زراعة أول محصول للبطاطس الذى مالبث أن انتشر فى العديد من البلدان الأخرى قد تحولت الآن الى مستوردة للبطاطس ، كما أن بيرو التى استطاعت مع سائر بلدان أمريكا اللاتينية أن تدخل الذرة كعنصر من عناصر الأغذية التى يتناولها الانسان تستورد الآن نحو ٤٠ فى المائة من احتياجاتها من الذرة ، وهى تستورد منتجات الألبان والدهون وفول الصويا وكل ماتحتاج اليه من القمح الذى يعتبر الغذاء الأساسى للفقراء فى بيرو وذلك - كما ذكرت - لأن أرض بيرو الجبلية لاتصلح لزراعة القمح .

اننا ندرك أيضا أن الفوائض الزراعية التى توزع فى جميع أنحاء العالم تحتكرها أسواق بعض البلدان لاسيما القوية منها وهذه البلدان تستغل هذا الوضع للضغط على بلداننا .

وفضلا عن ذلك ، فان الفوائض الزراعية التى تباع لسائر بلدان العالم بشروط ميسرة تضر بالزراعة فى بلادنا ، وتحجب عن شعبنا حقيقة مايمكن أن تنتجه بلاده من خيرات . كما أنها تسلب زراعتنا عوامل القوة فيها وتؤدى الى عرقلة تقدمها .

اننا لا نتطلع بآمالنا الى تحقيق الاكتفاء الذاتى ولكننا نتوخى تنمية محاصيلنا المحلية مثل البطاطس والذرة والكينوا .

ومع مقدم الغزاة الأوروبيين حرمت زراعة بعض المحاصيل التى كانت بيرو تعيرها أهمية دينية بسبب محتواها من السعرات الحرارية والبروتين لنفس هذا السبب بالذات . ونحن نرغب فى اعادة زراعة هذا الجين الوراثى المنسى ، ونود أن نعيد الى الأذهان تلك الحقبة المديدة حينما كانت بيرو تسيطر على مناطقها الجغرافية ، بعد أن تغير كل شىء بسبب العادات الغذائية المفروضة وبسبب الأنماط الاستيرادية التى لم تكن تناسب بلدنا . لذلك قمنا منذ ثلاثة أشهر بانشاء صندوق لدعم الأسعار الزراعية واتخذنا اجراء حاسما : فلقد خفضنا سعر الفائدة على القروض الزراعية فى معظم المناطق التى تعانى من الكساد الى خمس ماكانت عليه منذ ثلاثة أشهر . وكانت هذه الطريقة هى أحد السبل لكى ننقل الى الريف امتيازا ظلت المدن حتى الآن تستأثر به . ففى سيبرا اندينا ديل بيرو خفضت أسعار الفائدة من ١٠٨ أو ١١٠ فى المائة الى ١٩ فى المائة فقط ، وخفضت فى المناطق التى تنتشر فيها أعمال العنف الى ١٠ فى المائة حتى تتمكن الحكومة من تقديم معوناتها الى تلك المناطق .

ولايقتصر اهتمامنا بقضايا شعبنا على تطوير قطاع الزراعة وحده بل يمتد الى تطوير قطاع مصايد الأسماك أيضا . فبدلا من انتاج مسحوق السمك للأسواق الأجنبية ، ينبغى علينا أن نوجه مواردنا لتغذية شعبنا .

وفى هذا الاجتماع الذى يهتم بالزراعة ومصايد الأسماك ، تجدر الاشارة الى أن بيرو تعتبر من بين أكبر دول الصيد فى العالم ، بل كنا نفاخر فى وقت ما بأننا الدولة الرائدة فى هذا المضمار . ومع ذلك فان بلدنا بلد صغير نسبيا من حيث استهلاك الأسماك بينما فى اليابان يتجاوز معدل استهلاك الفرد فى السنة ٦٠ كغم ويصل معدل الاستهلاك فى بلدان أخرى فى أمريكا اللاتينية لاتحظى بمثل هذه الموارد الى أكثر من ٢٠ كغم . أما فى بيرو ، التى كانت فى وقت من الأوقات تتصدر بلدان العالم فى صيد الأسماك ، فلا يتجاوز متوسط الاستهلاك للفرد فى السنة ١٠ كغم .وفى الثلاثين سنة الأخيرة ، لم يستخدم للاستهلاك البشرى سوى طن واحد من بين كل ١٠٠ طن من المصيد . أما التسعة والتسعون طنا الأخرى فكانت تباع على صورة مساحيق سمكية ، لتسميد الأراضى المحصولية فى أوروبا .

وها نحن نرى المصانع بالغة الضخامة تقام بصورة عشوائية لكى تستحوذ على الموارد السمكية التى لدى الأمم الجائعة .

سيادة الرئيس ، سيادة المدير العام ،هنا أود أن أقول انه برغم استغلال المياه الساحلية لبيرو لسنوات طويلة لصالح الزراعة الأوروبية على صورة المساحيق السمكية ، فى وقت يقاسى فيه الملايين من البشر من الجوع ،فاننى على ثقة

من أن شعب بيرو يشاركنى عرض موارده الهائلة من الأسماك ومرافقه الصناعية المعطلة حاليا لمساعدة الفقراء فى كل أنحاء العالم .

ثالثا ، ان توفير الموارد الغذائية للأمة بأكملها يعد تأكيدا للديمقراطية . فالديمقراطية تعنى العدالة فى توزيع الموارد ، وبالتالى ينبغى أن تبدأ بأشد الناس فقرا ، وهؤلاء هم مزارعو الأنديز الذين يعيشون على حد الكفاف ، ويقعون عند قاعدة الهرم الاجتماعى فى بيرو . كما أننا نشجع انتاج واستهلاك البطاطس ، والذرة ، والكينوا وغيرها من السلع ، لان هذه المحاصيل تزرع فى مساحات الأراضى التى تملكها الجماعات الأندية ، التى تعد أفقر قطاعات السكان فى بيرو .

والنموذج الذى نقترحه للتحول يرتكز على الأغذية . فان اهتمامنا بالوطن على اختلاف قطاعاته باعادة تشكيل النموذج الاستهلاكى ، يعتبر دليلا على الديمقراطية لأنه يبدأ بأشد الفلاحين فقرا ، وهو يقوم على اللامركزية لأنه يعنى بالأرض فى المقام الأول . فالديمقراطية لايمكن أن تعنى التوسع فى النموذج الحضرى أو ضمان سيادته ، ولكنها يجب أن تعترف بالأشكال الاجتماعية التى تصدت للزمن ، مثل المجتمعات المحلية فى بيرو ، وان تعمل على ادماجها فى هياكل الدولة الجديدة . وفى الشهور الثلاثة الأخيرة ، أنشأت حكومة بيرو ما يسمى " وحدات تنمية جماعات الأنديز " بقصد مد يد العون الى مزارعى الكفاف . وهى وحدات مكلفة بتخطيط التنمية

وادارتها وهى تعمل بالتنسيق مع المعنيين بالأنشطة الاقتصادية ومع التنظيمات الجماهيرية . ولقد ظلت الخدمات العامة فى الأغذية والصحة حتى الآن مقصورة على القطاعات الحضرية ، والصناعية والادارية . ولكن هذا التقسيم الادارى الجديد سوف يتيح للحكومة توصيل خدماتها الصحية والغذائية والتكنولوجية الى القطاع الزراعى .

واذ كنا قد جئنا هنا لكى نطلب الى كافة الأمم أن تتضامن معنا ، فلابد أن نقدم الدليل أولا على التضامن الداخلى فى بيرو ، بين قطاع الصناعة والمدن والمجتمع بوجه عام . وهو ماجعلنا نعيد النظر فى مفهوم الرعاية الصحية . فقد جرت العادة على أن يكون هذا المفهوم حضريا يعنى المستشفيات والرعاية العلاجية : أما الآن فينبغى أن يعنى الوقاية والرعاية الأولية ، والتطعيم والتغذية فى جميع أنحاء المناطق الزراعية .

فقد تقرر خفض الفائدة على القروض الزراعية ، ودعم الأسعار والأسمدة وتوزيع الخدمات الاجتماعية الصحية ، والتعليمية والتكنولوجية ، وبذلك سوف ننفق على الزراعة مئات الملايين من الدولارات التى كانت مخصصة من قبل لسداد الديون .

وهكذا ، فان المفهوم الثورى الجديد للحياة فى بلادنا يعنى الاعتراف بالحقوق الاقتصادية لمجتمع الفلاحين .

لقد استطاع هذا المجتمع بشكله القديم أن يصمد لفترة طويلة بفضل التضامن فيما بين عناصره ولأنه كان يعيش فى عزلة مطلقة ، ولدينا ملايين من مواطنى ببرو فى آلاف من هذه الجماعات يقفون شاهدا حيا على الوعى بالماضى البعيد وبالأيام الخوالى حينما كانت الأرض ملكا للشعب .

يجب على الدولة الجديدة أن تعترف بالمجتمع الريفى كجزء من كيانها ، وتحقيقا لهذه الغاية ، خصصنا الموارد لهذه المجتمعات بصورة مباشرة . فقد كان يتعذر دائما على الدولة أن تلبى احتياجات تلك المجتمعات التى تعيش على ارتفاع أربعة أو خمسة آلاف متر . والآن سوف نصل اليها مباشرة ، متخطّين البيروقراطية والوسطاء من سكان المدن الذين ربما يشوهون هدف الحكومة وهو الالتحام بمجتمعات الفلاحين .

وكما تعمل الحكومة فى ببرو الآن على تطبيق ديمقراطية وطنية ولامركزية ، فانها تحاول أيضا من خلال الأغذية بناء اقتصاد متجانس العناصر .

لقد أشرت منذ لحظات الى أن القطاعات الاقتصادية فى ببرو مثل القطاعات الحضرية والصناعية والادارية ، منفصلة تماما عن قطاع الاقتصاد الزراعى الهامشى .ومن ثم فاننا نرغب فى انشاء سوق استهلاكية وطنية ، مع مراعاة

امكانيات الانتاج ومصالح أسر الفلاحين فى اطار الاحتياجات القطرية .

ويدرك منظمو النشاطات الاقتصادية والقائمون على أمر الصناعة فى بلادى أنه بدون تنمية القطاع الزراعى الهامشى وعدالة توزيع الدخل على الفلاحين ، لن تقوى امكانيات تطوير الصناعة فى الحضر فهى تمر حاليا بأزمة لعدم وجود سوق لمنتجاتها . ولهذا أعود فأقول انه على الرغم من أن الفائض من السلع المستوردة يمثل دعما لسكان الحضر ، بسبب انخفاض أسعارها نسبيا ، فانها تمثل فى النهاية أيضا تهديدا لهؤلاء السكان أنفسهم لأنها تعوق نمو القدرة الاستهلاكية بين الفلاحين .

وتماما كما جاء فى القصة الرمزية الأفريقية القديمة التى رواها الرئيس كينيث كاوندا ، أن الضيف الجديد ظل ينعم بالحفاوة أياما معدودات وبعدها قدم له المضيف فأسا يعزق بها الأرض ، فان بلداننا لاتستطيع أن تعيش على الواردات الرخيصة التى تهدد مستقبلها . وانما يجب عليها أن تشق طريق المستقبل بزيادة انتاجها الزراعى، لأن كثرة الاعانات تدمر كيانها ذاته .

خامسا – تتبع السياسة الغذائية الحكومية أسلوب درء الأزمات . ففى بلادى ، بل وفى بلداننا جميعا ، توجد أسباب عديدة للتضخم منها: الأسعار الاحتكارية ، والواردات

باهظة التكاليف ، والأهم منها انخفاض الإمدادات الزراعية . فانخفاض الانتاجية الزراعية هو أحد الأسباب الأساسية للتضخم. ففى بيرو ينتج الهكتار الواحد ٣٠ طنا من البطاطس فى المتوسط علما بأن بلادى هى ، كما ذكرت آنفا ، المنشأ الأصلى لهذا النبات . ويمكن مضاعفة غلة الهكتار فى فترة قصيرة جدا باستخدام الأسمدة والبذور المحسنة .كما يمكن ، بنفس الطريقة ، زيادة غلة هكتار الذرة بنسبة ٥٠ فى المائة .

واذا سئلنا "لماذا هذا الانشغال بمسألة الزراعة؟" أجبنا على ذلك بأنه لابد من استخدام الموارد الحكومية المحدودة فى القطاع الاقتصادى فى انتاج السلعة التى تحقق أعلى ربح . فالعمل فى الزراعة ، أو زيادة الانتاجية ، يتكلف ، فى بلادى ، مايقل بثلاثين الى أربعين مرة ، عنه فى الصناعة أو فى الوظيفة الحكومية .

وهكذا فان معدل الغلة الاقتصادية والاجتماعية للزراعة يزيد كثيرا عن نظيره فى القطاعات الأخرى.

وقد حاولت أن أبرهن أن النموذج الغذائى الذى اقترحته حكومة بيرو هو أساس الديمقراطية . اننا نريد ديمقراطية وطنية لامركزية ، وانشاء سوق استهلاكية داخلية ووضع أسلوب لدرء الأزمات طالما بقيت هناك ظاهرة التضخم . لكن هذا الأسلوب يعتمد على المشاركة فى مجتمع يمزقه العنف. فالصحافة ووسائل الاعلام العالمية تصف بلادى بأنها ضحية العنف والتدمير.

ففى السنوات الأخيرة تفاقمت مشكلة الارهـــــــاب والتدمير وأودت بحياة الآلاف من السكان • اننا نرفـــض روح الأيديولوجية الشمولية وتبرير العنف كحق تاريخى • اننـــا سنقاوم أسلحة التدمير بأسلحة القانون والديمقراطيـــة ، وسنحارب بكل صلابة ، ولكننا سنحترم القانون وحقوق الانسان •

ومن جهة أخرى ، فنحن نفهم لماذا اختار الارهابيون أشد مناطق البلاد بؤسا ، محاولين استغلال بؤس الفلاحيـــن واحباطهم ومتسترين بالتنظيمات القديمة للمجتمعات الفلاحية المحلية ومستفيدين من قدراتها التنظيمية •

ففى الجمعية العامة للأمم المتحدة أوضحت أن هذا هو السبب الذى منعنا من تسديد بعض ديوننا الخارجية ودعوت الى عقد اتفاقية اقليمية فى أمريكا اللاتينية تقضى بالتوقف عن انفاق ملايين الدولارات على الأسلحة فى حين يمكن انفاقها لتخليص المغبونين من فقرهم ولاحياء المناطق التى تعانى من الحرمان ، وذلك بتخصيص الموارد مباشرة لهذه الجهـــات ، وتخفيض معدلات الفوائد ، وتشجيع استهلاك السلع المنتجـــة محليا ، والاعتراف بالمنظمات الاجتماعية لهؤلاء السكان ، اذ أن الحكومة عندما تعبد لهذه المنظمات قوتها التاريخيـــة التى انتزعت منها فانها تنضم بذلك الى صفوف المجتمـــع بالفعل وتفرض الديمقراطية نفسها كنموذج انمائى فعّـــال • فالصراع الايديولوجى فى بيرو ، كما هو الحال فى جميـــع البلدان الفقيرة فى العالم ، هو صراع بين العنف ، الـــذى

رفع نفسه الى مستوى الايديولوجية ، وبين الديمقراطية ، التى ينبغى عليها أن تثبت مقدرتها على حل المشاكل الاجتماعية .واننى على ثقة تامة بأن الديمقراطية سوف تنتصر على العنف معتمدة فى ذلك على قوة العدالة وعلى تنمية القطاعات الأشد حرمانا . فالديمقراطية ، يجب أن تعنى قبل أى شئ آخر ، احترام أهم حقوق الانسان ، ألا وهو حقه فى الخبز ، والدفاع عن هذا الحق .

سيدى الرئيس .. أيها السادة المندوبون

ان هذا هو الهدف التاريخى الأول لجهودنا الرامية الى اقامة حكومة وطنية ديمقراطية شعبية ، والى خلق وعي بالحوانب الجغرافية والتاريخية والى تحرير بيرو والتأكيد على الروح الوطنية وترسيخ أسس الديمقراطية واللامركزية ، واقامة اقتصاد سليم ومتين يستطيع أن يتخطى الأزمات ويوفر الخبز الذى هو السلام والحرية .

وهكذا فقد اغتنمت هذه المناسبة لاعطائكم لمحة موجزة عن تاريخ بيرو ، الذى ربما كان هو تاريخ أي بلد آخر فى أمريكا اللاتينية ، ولأوضح لكم ، بمناسبة الاحتفال بالذكرى السنوية الأربعين لانشاء منظمة الأغذية والزراعة ، نموذج ديمقراطية الغذاء الذى نتبناه محاولين التدليل على أن الغذاء ليس مجرد وسيلة لاشباع الجوع بل هو أيضا رمز حضارى يمكن أن تندلع الثورة من أجله .

وان حكومة بيرو ، وهى تشارك هذه الأهداف العظيمة مع الأمم الأخرى ، تدرك أنها جزء من حركة عريضة لشعوب العالم الفقيرة الممثلة هنا . وهكذا تضم بلادى صوتها الى صوت حركة عدم الانحياز وبلدان افريقيا التى تكابد الآن الجفاف والمجاعة . أيها المندوبون الكرام ، اننى أدعوكم أن تحملوا معكم ، ضمن ما ستحملونه من هذا الاجتماع ، تصميم بيرو وعزمها أن تبعث تاريخها وأن تواجه جميع العقبات ، وأن تخبروا شعوبكم أن شعب بيرو يقف الى جانبها فى آلامها وآمالها .

ان هدف حكومتى هو التأكيد على الحق فى الحياة . فليس محكوما على البشر أن يتحملوا الجوع الى الأبد والله قد خلق العالم وأمدّه بكل مايلزم بقاءه من فطنة وموارد . لكن تاريخ الجنس البشرى وأنانية الأقوياء أساءت توزيع هذه الموارد وجعلتنا نعيش فى عالم من المتناقضات .

اننا نؤمن بالله ونؤمن بخبزنا اليومى . واقتداء بالنبى أشعياء فاننا سوف نظل نأمل أن يأتى ذلك اليوم الذى سترتد فيه السيوف الى أغمادها والرماح الى قرابها . بحيث لايكون هناك بلد يهدد بلدا آخر بالحرب والقتال ، وبذلك تتحوّل أسلحة اليوم الى خبز فيتحول هذا ، شيئا فشيئا ، الى سلم وعدالة ، ويومها لن يكون جوعنا أو جوع الآخرين هو الذى يوجد بيننا كما هو الحال الآن بل ان ما

سيوحد بيننا ساعتها هو الرجوع الى الرب ، ودعونـــــى أردد كلمات شاعر من بلادى قال فيها ان بيرو تود أن تقرع جميـــــع الأبواب ، أبواب جميع الشعوب ،وأيا كان من سيفتح لهـــــــا فستخبز له رغيفا طريا بدفء فؤادها .

وشكرا لكم ،

٩٦/٦مجالس١ -

W/R6930/Ar